بين القصاص والقراء

يقدمها ثروت أباظة

احمد محمود أحمد :

قصتك فى هذه المرة يا أستاذ احمد ليس فيها جديد على الاطلاق الموضوع قديم ولا بأس عليك من قدم الموضوع ولكن العرض ايضا قديم فتاة احبت ثم ارغم الحبيب على ان يتزوج من فتاة اخرى . والارغام لم يكن طبيعيا . والنهاية ايضا لم تكن طبيعية . فانت تقول فى آخر القصة على لسان الفتاة التى تروى « سوف اثبت له انى اقوى منه واشد عزما مادام قلبه قد نبض هذا القلب الذى احب بعمق وهوى بايمان وطهر ، وحقق لأول طارق . لن يكون جزاؤه مرة اخرى هذا الاهمال المزرى الذى يذهب بماء الوجه ويقضى على الآمال والأحلام ساترك هذا للأيام التى تاسو كل الجراح وتمحو كل هوان وهى كفيلة بذلك » ألا ترى معى أن هذا الشعور غريب وقت الصدمة .. وعلى كل حال المشاعر الانسانية تختلف من انسان الى آخر وقد توجد الفتاة التى تحس هذا الشعور ولكن كان لابد لك ان تبرر هذا النوع الغريب بعض الشىء من التأثر . لا ادرى لماذا احببت ان كلماتك هذه الأخيرة تشبه نوعا من النصيحة للبنات اللواتى اصبن بمثل ما أصيبت به . والنصيحة لا يجوز لها ان تحضر شخصيا فى القصة يجب ان تنبع عنها وكيلا من واقعة ، او من حوار غير مباشر ، فانها اذا حضرت بنفسها احالت القصة الى مقالة . اسلوبك جميل لا شك فى ذلك ولغتك سليمة واصبح فيها اثر الثقافة العربية الامر الذى نعتقده فى ادب الشباب فلا تجده . اما فى انتظار قصتك القادمة ونثق أنها ستأخذ مكانها الذى تستحقه لها .

مراد صبحى :

قصتك هذه لا بأس بها ولكنها اضعف من قصتك التى نشرت لك فى مجلة القصة ونحن نرجو التقدم لا الثبات ولا التأخر . أنت طوال عرض هذه القصة مباشر فى تعبيراتك تستعين عن الواقعة بالحديث فمعروض يجد فى عمله ، ويجد فى مذاكرته اما كنت تستطيع ان تسوق الينا واقعة او وقائع لترينا مقدار جده . لو انك اتخذت السبيل القصصى فى العرض لاصبت التوفيق فى القصة . لانك وفقت فى النهاية وفى طريقة عرضها توفيقا جعلنى آسف للعرض المباشر الذى لجأت اليه دون داع الى ذلك .

اسلوبك بسيط وواضح . الا انك تحطىء احيانا قليلة فى النحو ولا شك انك اذا عنيت عناية هينة بدراسة النحو ستستطيع ان تتغلب على هذه الهنات التى تبدو من حين الى آخر فى كتاباتك . اننى على ثقة اننا سنشر لك . ولكن عليك أن تعتنى بعملك أكثر مما تفعل . اننا فى انتظار قصتك القادمة .

شاهين حواش .

موهبتك القصصية لاشك فيها واسلوبك قصصى ممتع وانت ذو نفسية ترجو ستستطيع بها أن تقول ما تشاء . وقد اعجبت بقصتك هروب حقا واستمتعت بقراءتها . ولكن لى عليها بعض ملاحظة ان رايت ان تتحاشاها فى قصتك القادمة تصل — فى رايى — الى الاتقان غايه الاتقان .

هى طويلة بعض الشىء . ولقد القيت فيها نظرات الى الحياة تحدم القصة وتدل على حالة الهروب التى يعانيها البطل . ولكن هناك فقرات لا ادرى كيف تحدم القصة . مثلا « بعد انتهاء العرض خرجنا الى الطرق ونحن نتحدث عن القصة التى عاشها البطل وعن المعاناة والتجربة القاسية والالم الحاد الذى سيطر على حياة البطلة وحطم اعصابها . وعن البعد الثالث فى الاخراج وروعة الكاميرا وهى تكشف عن خبايا النفس البشرية . وتصور ماحور المقدارة حتى تصل الى بؤرة الضوء ومركز البداية . وضحكنا من الاعماق ونحن نشاهد صور الكارتون ونوادر الموقف ولهاث القط وهو يركض وراء الفار حتى يمسك به ويلتهمه دون طائل . وكانت اختى وصديقتها تتضاحكان فى صوت عذب تشوبه البشوة وروعة الاخلاص » .

فهم تعيد القصة هذه السطور . كم كنت اتمنى ان تكون متصلة بناء القصة بالقصة القصيرة لا يستطيع ان تحتمل فى سطورها ما لا يخدمها وتطورها ويصل بها الى الهدف الذى تنشده . وارائد ايضا قد حشدت فى القصة بعض وقائع كنت ستستطيع الاستغناء عنها . مثلا دخول والد البطل الى حجرته . اترى انك قلت شيئا بهذه الواقعة . قد تحتمل القصة الطويلة هذا ان كنت تريد ان تصور حياة او قطاعا من الحياة اما القصة فلا اظنها تحتمل . اكاد لا اشك اننى سانشر قصتك القادمة .

احمد نصيف السامرائى — سامراء — العراق .

قصتك جميلة . وقد جاءت نهايتها موفقة . فالعرض لم يكن شيئا عن المفاجاة التى احتفيتها الى آخر القصة . ترقب قصتك فى عدد قادم ان شاء الله .

محمود الحسينى المرسى .

قصتك جميلة . والرمز فيها فى احسب التعبير عنه . ستنشر فى عدد قادم ان شاء الله .

سامى السيد طه .

قصتك شىء جاءك فى يوم ما ستكتب ما يرضيك . ولكن لا تتعجل فانه يبدو لى من قصتك انك فى مطالع الشباب الاولى . فانت تحتاج الى قراءة كثيرة وقد تبدو هذه النصيحة — اذ جاز لى ان انصح — نصيحة متكررة تدعو الى الملل ولكنها — للاسف — حقيقة لا يمكن التحلى عنها من يريد ان يكتب لابد ان يقرا . قصتك هذه بسيطة ولكن طريقة روايتك لها فيها صدق وموضوعها انسانى وان كنت — دون ان تحس — قد وجهت الى الناس رايا لو اسمعوه لاحاق بهم الشر . فليس الطريق الطبيعى لى

بحدله طلب ... أن نتوجه الى صندلى ... طلب مهمة العيدلى أن يعالج ... اقرأ ايها الأخ سامى ولا تشغل الكتابة وثق أنك حين تقرأ ستعرف متى تكتب .

محمود عبد العزيز سالم :

يا أخى لا عليك من هذه الحيرة التى تواجهها ... واكتب ... اكتب ما تشاء أن تكتب ولكن كن صادقا مع نفسك . وثق أنك ما دمت قد قرأت كل هذا ستجد انك تطبق قواعد النقد دون أفتعال ... فالفن حر طليق وهو فى حريته وانطلاقه يخلق قواعد النقد التى تحتاجها ... وحين تطمئن الى عمل لك فارسله الى ولنا حينئذ حديث .

السيد السيد على هلال :

قصتك جميلة لاشك فى ذلك وتدل على موهبة قصصية ناضجة . ولكنك اتراك كنت تنظر بعض الشىء لقصة الزعلاوى للأستاذ نجيب محفوظ . ان كان الأمر كذلك فقد احترقت لم نبحث عنه مهنه لا اظن انها ترضيك . هذا المعنى جعلنى مترددا غاية التردد فى نشرها ... ولكننى واثق انى سأنشر لك ما سترسله من بعد ... فان اسلوبك الممسك وعرضك الواعى وتراكيب اللغة البارعة كل ذلك يؤكد أن أعمالك لابد ان تنشر .

محمد السيد أبو دومه :

قصتك صورة وصفية تدل على انك تستطيع أن تقدم عملا قصصيا ناجحا ولكن اللغة العربية تنقصك فعباراتك ليست فى قوة عرضك القصصى كنت أحس دائما وانا اقرأ القصة انك تريد أن تقول شيئا ولكنك لا تقع على التعبير الموفق . أما حوارك العامى فهو صادق ويدل على معايشتك للصورة التى ترسمها ... لو أن لغتك العربية فى ثراء لغتك العامية لاستطعت ان تقدم لنا عملا فنيا متكاملا ... وهناك هنة صغيرة أحدثتها عليك فى القصة ... لماذا قامت العداوة بين علم الدين وراوى القصة ... ثم لماذا تم الصلح بينهما ... لماذا كف علم الدين عن سب بطل القصة ... انا لم أجد مبررا حال علم الدين لراوى القصة كافة لمنع علم الدين عن سبابه . أظن أن هذه الواقعة كانت تحتاج الى توضيح اكثر ...

جـــلال منصور :

الواقع انى اعجبت بقصتك فان فيها انسانية رقيقة وفيها ايضا تحليلا دقيقا للمشاعر ... الا ان فى القصة تناقضا عجبا . فالعرض عندك يدل على انك ناضج متفهم لاصول القصة القصيرة الا انك فجأة دخلت الى القصة وقلت رأيك فى مباشرة ووضوح بشكل يباعى ما وضح فى عرضك من أصالة وتفهم أتراك فعلت ذلك عن قصد .. هذه الجملة « الحل الذى تقره الانسانية وتاباه الكرامة ، والكبرياء ... ولكن ملايين شاهد يقرر بواقعية مؤلمة بل موغله فى الايلام ان ليس بالكبرياء ولا بالكرامة يحتدى الانسان . وهذه قضية معقدة غاية التعقيد ... بل هى الصراع الأزلى بين الواقع والمثل » ...

لماذا كتبت هذه الجملة ... لماذا لم تترك الاحداث تقولها . وقد قالتها فعلا .

وهناك تناقض آخر عجيب ... فأنت من خلال القصة تبين أنك متمكن من لغته دارس لها وللاساليب العربية دراسة واعية ثم انت مع ذلك تخطىء فى النحو فى اكثر من موضع . انى واثق انك لو عدت لقراءة قصتك بعد كتابتها لاستطعت ان تصحح اعمالك من الخطأ النحوى فما اظن أن مثلك يقع فى هذه الاخطاء عن تدبر . أنا فى انتظار قصة أخرى منك ...

●● **من القصص اخترت للنشر هذا الشهر قصة (الموعد) للأديب محمد صفوت عبده**

الموعد

بقلم : محمد صفوت عبده

عندما اوشك الليل ان ينتصف ، نهض الاسطى حسين من على مقعده الضيق متثاقلا ، ورفع ذراعيه الى اعلى ، واخذ جذعه الى الخلف قليلا ، محاولا ان يمط جسده ، وان يعيد النشاط والحركة لعضلاته .. وخرجت من حلقه آهة تعب وارهاق ، وهو ينادي في تراخ وكسل ، كأنما ليستحث من صاحبه الطويل ، وينفض عن نفسه آثار جلسته المملة ، التي استغرقت منذ الصباح الباكر ... ورتب الرجل بعض الأدوات في حقيبته الصغيرة ، واطفأ الأنوار ، ومن ثم اغلق الحانوت ، واتخذ طريقه عائدا الى بيته ، وهو يدبر في رأسه امرا هاما .

ذلك ان عيد الفطر المبارك ، سوف يشرق على الغد ، وعلى اسرته بعد خمسة عشر يوما ، ولذا فقد آن له ان يشتري لابنه وبناته الحلل والاكسية الجديدة ، وان يتاح لزوجه ما يصلحه البيت من مستلزمات العيد البسيطة التي تتناسب مع دخله حاله .

وبينما كان الاسطى حسين ، يخترق الشوارع والحارات والازقة التي تؤدي الى مسكنه ، جعل يضرب اخماسا في اسداس ، ويحسب ويجمع ويفكر .. انه يخشى ان تعجز نقوده التي ادخرها للعيد ، عن الوفاء بمطالب اسرته واحتياجات بيته في تلك المناسبة السعيدة ! .

وظل الرجل يفكر الأمر عليا ، الى ان قرر فيما بينه وبين نفسه ، انه في الصباح سوف يبدأ فيملي رغبات ابنائه وامرأته والبيت ، وبعد ذلك ان جاءت الجنيهات العشر التي يملكها ، فلا مفر له من ان يصيرعلى نفسه ، ويتحامل مطالبه الشخصية ويتنازل عنها ، وخير ان يدخل البهجة والسعادة في نفوس افراد اسرته وقلوبهم ، بان يهيئهم تهيئة حسنة لاستقبال العيد .

وما كاد الاسطى حسين يدخل شقته المتواضعة ، حتى مضى الى خزانة الملابس الصغيرة ، التي تشبه الدولاب ، ففتحها واستخرج منها صندوقا معدنيا صغيرا ، كان قد اودع به العشرة جنيهات المدخرة ، والتي اراد ان يطمئن الى وجودها في لحظته تلك ... ولكنه ما ان رفع غطاء الصندوق ، حتى بدت منه شهقة حادة ، كاد قلبه يخرج معها ، وصاح في زوجته بغيظ وغضب :

ـ وبحق يا أم احمد التي هنا غير خمسة جنيهات ، فاين ذهبت الخمسة الأخرى ؟! .

وانتفضت زوجته وتملكها الخوف ، ورانت عليها ، حين نظرت اليه فوجدته حاحظ العينين منقلب السحنة ... وقصت قصتها وافلته دون ان تستطيع الكلام ، اذ طارت وتبخرت من ذهنها جميع الكلمات التي اعدتها لهذا الموقف العصيب .

وكانت الصدمة لا تزال تعمل عملها بروحها ، الذي اقترب منها وغيق عليها الخناق :

ـ قولي لي اين ذهبت النقود ، والا اقسمت عمرك في النو واللحظة .

وامتقع لون ام احمد ، وتلاحقت دقات قلبها ، وتمتمت وهي تقول معصومة خائفة :

ـ انه ابنيك ؟!

قالتها ورفعت يدها تستر بها وجهها ، اذا ما انهالت عليه صفعات زوجها ، وقد توقعت ذلك لمجرد خوفها ، وطبيعتها التي بلغ حد السذاجة .

ولكنه امسك بيدها هذه ، وأراحها بعيدا عن وجهها ، ولما رفعت يدها الثانية ، ابعدها ايضا ، فاشاحت بوجهها ، ولوت رأسها اتقاء للضربة والأذى ... كما تفعل الخادم الغبية البليدة حين تحاسبها سيدتها على خطأ ارتكبته .

ولم يصفعها زوجها هذه ، وانما هتف صوته المستعبر هادئا بعض الشيء :

ـ ماذا تقولين يا ابنتي ؟! .. اريد ان اعرف اي امتحان هذا ، وكيف وصلت الخبيثات الخمسة الى يده ؟! .

وتحررت الزوجة من خوفها قليلا :

ـ انه ابناء عبد الحميد ، الطالب في القاهرة ، ارسل الى مع احد زملائه ، قائلا ان امتحانه النهائي في الجامعة قد اقترب ، وانه لا يزال في حاجة الى بعض الكتب والمذكرات .

والقى الرجل بيدي زوجته ، ودفعها في ثورة وغضب ، وضرب كفا بكف ، ورفع رفرة حرى :

ـ آف ... اعوذ بالله منك ايتها المرأة انت وابنك ، اهكذا تمتطان النقود دون علمي ، اني لتنهي اسطوانة الكتب والمذكرات هذه ابدا ؟! .

وقالت مسترضية :

ـ هون عليك ، فما هي الا اشهر قلائل ، حتى يأخذ عبد الحميد الشهادة الكبيرة ، ويصبح موظفا كبيرا ، وحينئذ تكون الموعد .. موعدنا معه ليرد لنا الجميل .

ـ ولكنك تعلمين اني ارسلت له ستة جنيهات في أول الشهر ، فماذا بقي بيديه ؟! .. هل بقي اني اصنع النقود ، او اقترضها من مدين لا يطلب ؟! .. ام تراه يعتقد اني على كل شيء قدير ؟! .

وصمت قليلا ثم قال في تأفف وضيق :

ـ عليّ له ، ما دام يعلم كيف تحصل على القرش ، ويعلم اننا نحرم انفسنا حتى من ضروريات الحياة ، في سبيل ان نوفر له نفقات تعليمه ، فما باله يحق اكثر مما حصل ، ولا يقنع ، بل يطالب بالمزيد ، دون ان تأخذه بنا شفقة او رحمة ؟! .. هكذا والله حرام ! .. قالها وكأنه يشكو امره الى الله .

وربما اقتنعت الأم ، بمنطق زوجها ، وآمنت به ، ولكن حبها لابنها جعلها تقول :

ـ بالله عليك اهدأ يا حسين ، والذي حملنا نصبر طويلا ، نحملنا نصبر قليلا ، فقد هان الأمر ، واقتربنا من بلوغ الأمل .

وقال الأب بصوت يغلفه الألم :

ـ لقد صبرنا على عبد الحميد حتى كاد ان يحرم اخوته واخواته من حقهم في الحياة ، ونحن من قبلهم ...

وتنهد في مرارة ويأس ، ثم اردف وكأنه قد بدأ يستسلم للقضاء لا مفر منه :

ـ ومالنا نفعل الان والله سلبنا نصف المبلغ الذي كنا ندخره للعيد ؟ .

ـ لا عليك ، فالحمد لله الباقية بخير لان تكسو عيالنا ، اما انت وانا ، فسنستطيع ان نصبر ولن تكون بنا حاجة الى شيء ، طالما نرى اولادنا وهم سعداء بملابسهم وألوانهم الجديدة .

ـ واذا ضحينا ـ انا وانت ـ برغباتنا كما تعودنا ، فهل هذا هو كل ما في الامر ؟ الى تحتاج اليه الى شيء كواجهة العيد ! .

وكان الشقاق بين الزوجين قد هدأ تماما ، فوضعت ام احمد يدها على كتف زوجها في حنان وتودد ، وقالت تهون عليه وييسر له الامر

ـ ان الله لن يضيعنا ، واملي انه سيخرجها قريبا مما نحن فيه الى سعة ، وما عليك ، قد يمنح الله البنك ـ في الحانوت ـ بعض الزبائن الذين يطلبون منك احذية جديدة ، فتربح من ورائهم ما نحن في حاجتنا .

وابتسم الاسطى حسين

ـ ارجو ذلك .

وبعد لحظة صمت ، وبعد ان استعادت الزوجة طمأنينتها وثقتها بنفسها ، نظرت الى زوجها نائمة ، وقالت في استعطاف وتوسل :

ـ حسين ... ارجو ان تعفر لي زلاتي ، وان تقدر ظروفه ولا تظلمه ، فهو غريب في القاهرة ، يواجه الصد والامتحانات ، ويحتاج الى العناء الصبر والكفاح المناسب ، او كما قال ، تحصله الكتب والمذكرات للامتحان النهائي ، فهل ترانى اخطأت حين ارسلت له النقود ؟! .

ونجحت الأم الطيبة في ان تعيد ينابيع الحب والحنان في قلب الأب الحاني ، وافلحت في ان تمسح عنه اوتار الأبوة الصادقة ـ فصدرت ملؤه العطف والاخلاص والتأثر ، قال الاسطى حسين :

ـ الحقيقة يا أم احمد انك فعلت خيرا ، وأملي ان الخير سيكون في موضعه ، وان عبد الحميد سيكون بارا بنا ، بعد ما تأخذ الشهادة الجامعية ويصبح موظفا عالي المقام .

وابتسمت الزوجة في سعادة غامرة

ـ اجل يا حسين ، انه فرحتنا ولؤلؤنا وأملنا في الحياة ، انه الناقلة التي منها ستظل علينا السعادة .

وفي تلك الليلة ، قبل النوم سيلقه الى عيني الاسطى حسين ، الذي ظل ساكنا مسهدا في فراشه ، وبدلا من ان يتسرب السبات الى نفسه ، تسربت ذكريات حياته الى مخيلته .

والاسطى حسين يحمل « حذاء » مدينة الزقازيق ، بدأ حياته حينما كان غلاما يمسح الاحذية ، يتجول في الشوارع ويطوف بالمقاهي ، ويحوم حول بعض الاماكن العامة ، وهو يحمل في يده صندوقا خشبيا صغيرا ، علقت وشدت الى جوانبه رجاجات الاصباغ وقصبة الماء ، وعلب الطلاء ، وفي داخل ذلك الصندوق ، كان حسين يضع الكثير من الأشياء ، مثل الفرش وشرائح القماش ، وعلب الورنيش ، التي تحوي احداها قليلا من الصابون وقطعة من الاسفنج ... وايضا كان حسين يحمل كرسيا صغيرا جدا ، لا تتجاوز ابعاده ستيمترات قليلة ، حتى انه كثيرا ما كان يضعه بداخل الصندوق

كان الصبي يدور وسعي في شوارع الزقازيق ، وهو يحمل صندوقه وكرسيه الصغير ، وقد ستر جسده النحيل ، وعوده الأخضر ، بجلباب رخيص النمن ، ملطخ بالأصباغ والورنيش ، فلد رث ، اكلت به الثقوب وحال لونه من القدم ، وبترت أكمامه ، وسقت قطعه صغيره فاسعت حتى كشفت عن أعلى البطن ، وبالرغم من ان حسين كان كثيرا ما يسير حافي القدمين ، الا انه كان دائما يضع فوق رأسه قلنسوة من القماش الأسود ، يظل من تحتها شعره الأشعث الطويل .

كانت الشاطئ هي المجال الخصب الذي فيه يزاول حسين مهنته ، ويكسب لقمة عيشه ، فكان يطوف بذلك الشاطئ ، وفي كل مرة يقترب من الرواد الجالسين واحدا بعد الآخر ، ويقول وفي عينيه ذل وانكسار ، وفي صوته رجاء وتوسل واستعطاف

ـ تمسح يا بيه ؟! ؟

فاذا ما اومأ اليه احدهم بالايجاب ، قفز في السعادة ، وتحرك في سرعة كالمقهور ، ودس كرسيه الصغير تحت جسده النحيل ، ووضع صندوقه الخشبي تحت القدم ، والحذاء الذي سيطليه ، ومن ثم راح يباشر عملية التنظيف والطلاء والتلميع ، فظل يهز يده اليمنى الصغيرة الفقيرة ، وسعيا لذلك ـ وبالرغم منه ـ تأخذ ذراعه الأخرى ورأسه وسائر بدنه في الاهتزاز المتتابع ، وتستمر في تحريك أصابعه المتسخة ، رائحة قاتمة على جلد الحذاء في حفة ومهارة ، حيث يطليه بالصبغة ثم الورنيش ، مستعينا على ذلك بالفرشاة وقطعة من القماش ، . وبعد جهد وارهاق ، ينتهي حسين من مهمته تلك ، فيتقاضى منها عشرة مليمات ـ تزداد خمسة في أحسن الأحوال ـ يضعها في جيبه وهو يشكر ربه .. ثم يمضي ليعرض خدماته على باقي الزبائن ، واذا ما أتم دورته في ذلك المقهى ، سعى الى غيره وغيره ،... وهو في الغالب يمر بالمقهى الواحد اكثر من مرة في اليوم الواحد .

ويعرق حسين ويجوع ، ويظمأ به الصيف ، ويوشك رأسه ان يدور ، ولكنه ابدا لا يهدأ ولا يستريح ، ولا يتكاسل ولا يتقاعد ، بل يجد في السعي والطواف ، باحثا عن العشرة مليمات أينما تكون .

وبعد سنوات طويلة شاقة من العرق والكفاح المرير ، والجهد المتصل ، والعذاب والحرمان ، استطاع حسين ان يدخر مبلغا لا بأس به من المال ، وربما كان لديه مبلغا بسيطا بقي له من بعض والده ، فتمكن من ان يفتتح حانوتا صغيرا متواضعا ، لتلميع واصلاح الأحذية ... وأخذ يشتري الأحذية والنعال المستعملة ، ويجري لها عمليات الاصلاح والترميم والتجديد ، ومن ثم يبيعها للفقراء من الناس ، فيحقق بذلك بعض الكسب .

وشيئا فشيئا تمكن من حرفته واتقنها ، فأصبح يصلح الأحذية لمن يطلبها ، وكان في صانعا حاذقا ماهرا ، واخلص لمهنته واحسن معاملة زبائنه ، فاجتذب اليه الكثيرين من العملاء ، ونال اقبالا ورواجا لا بأس بهما .

ولما بلغ الأسطى حسين الثامنة والعشرين من عمره ، تزوج من ابنة صاحب المقهى البلدي المجاور لحانوته .

ونظرا لفقر الأسطى حسين وضيق موارده ، فان ابنه الأكبر احمد ، لم ينل من العلم في صباه،

القراءة والكتابة ، وذلك في مدى ثلاث سنوات احتلسها من الزمن احتلاسا ، والحقاها بالمدرسة الابتدائية ... ومن ثم استبقاه ابوه معه في الحانوت ، وصار يلقنه اصول المهنة واسرار الصنعة ، حتى تعلم احمد ، فاصبح يصنع الاحذية ، بينما تفرغ الاب ـ الى حد ما ـ لعمليات الاصلاح والصيانة .

ولكن عبد الحميد ، الابن الثاني ، كان محظوظا الى حد كبير ، اذ استطاع ـ في لحظة من الزمن ـ ان يصل الى التعليم الثانوي ... وبالرغم من ذكاء عبد الحميد ، وتفوقه في دراسته بعض الشيء ، فقد كان يتفرد بسمات الطباع الغريبة غير المستحبة .

كان عبد الحميد عنيدا متشددا ، انانيا لا يحب الا نفسه ، وراية ذلك ، انه لم يكن يتنازل ابدا بالقروش التي ياخذها من ابيه كمصروف اليد ، بل كان يلجأ الى امه ليأخذ منها المزيد ، ومن ثم يعمد الى خطف قروش اخوته واخواته ، بالخديعة او القوة ايهما احدى ، ثم ينفق كل ذلك فيما لا يفيد ، وفي اشياء لا قيمة لها .

ولم يكد عبد الحميد يتجاوز الرابعة عشرة من عمره ، حتى طالب بان تكون له غرفة خاصة به ، ومع ان الاسرة كلها كانت تعيش في شقة ضيقة مكونة من غرفتين صغيرتين ، وصالة اصغر منهما ، فقد استطاع بمكره وخبثه ان ينفرد باحدى هاتين الغرفتين ، تاركا كل افراد الاسرة ليعيشوا في غرفة واحدة .

وهو نادرا ما يجالس افراد الاسرة على الطعام ، او يشاركهم فيما ياكلون ، فاحيانا لا يروقه ما ياكلون ، واحيانا يشمئز وينفر من منظر اخيه الصغيرين وهما تتعلل ايديهما في صحاف الطعام ، فتحاكيه نفسه ، وتتملكه الاثرة وحب الذات ، فيحاول دائما ان ينفرد وحده بالطعام ، الذي غالبا ما يكون افضل واجود من طعام الاسرة .

والويل كل الويل لابيه وامه ان هما تأخرا في تلبية رغبة من رغباته ، التي لا تقف عند حد ، والتي غالبا ما تتبدها فوق طاقتهما ... فهو عندما يريد ، لابد ان يحصل على ما يريد ، وهو حينما يتحدث او يتشاقى ، فليس لهما ان يعارضاه ، او حتى يرفعا صوتهما على صوته ، وانما الطاعة له دائما ، لانه ـ كما يصور له غروره وكبرياؤه ـ صاحب العلم والمعرفة والراي المستنير .

ولكن ثمة شخص واحد ، كان يستطيع ان يشارك عبد الحميد في حجرته او طعامه ... ذلك هو اخوه ابراهيم الذي يلاحقه في العمر والدراسة .

على هذا النحو شب عبد الحميد ، متخذا صفة الالوهية والزعامة على افراد اسرته ، وهم لفرط طيبتهم وسماحتهم المشوبة بالسذاجة ، لا يفطنون الى كنه نفسه ، ولا يدركون من امره شيئا ، بل هم

يعملون في نفسه الصفات والطباع التي بنت فيها ، اذ يحيطونه بالاحترام والتقدير ، والحب والتهيب .

وحصل عبد الحميد على الشهادة الثانوية العامة بمجموع لا بأس به ... وبعد الزغاريد والشربات ، وبعد الفرح والسرور ، قامت القيامة ، فعبد الحميد يريد أن يلتحق بالجامعة ليواصل دراسته ، وأبوه يريد منه أن يلتحق بأية وظيفة كي تعول نفسه ، ويسهم في نفقات الأسرة ، التي بدأ تحت ضغط الحاجة والفقر ، ولولا نفقات تعليمه بالثانوي لكانت الأسرة أيسر حالا ... واختتم الأب حديثه قائلا ، انه أولى لعبد الحميد أن يحمد الله على أن وصل الى هذه المرحلة من التعليم ، وأن عليه أن يعمل لتتولى أمر نفسه ، وليتيح الفرصة لأخيه الأصغر ابراهيم عسى أن يصل مثله الى الثانوية العامة ، التي لا يحلمون في أكثر منها ، والتي يعدونها نعمة من الله وفضلا .

وكانت الأم حائرة بين ابنها وزوجها ، لا تدري أيهما تناصر ، فهي لا تفهم ولا تدرك معنى أن يواصل ابنها تعليمه في الجامعة ، ولا تكاد تشعر بأية أهمية لذلك اطلاقا ، ولكنها ترى انه ما دام قد أخذ شهادة تؤهله للوظيفة ، فحسبه ذلك ، وعليه أن يتوظف ، حتى يفرحون بوظيفته ، ويحلمون بما سيقدم من راتبه .

وبعد أيام من المناقشات الحادة والخلافات المستمرة ، أخذت الغرفة تهدأ تقريبا دون أن يكون النصر فيها لأحد ، فكل يعتقد انه سيصل الى غرضه ، ولكن عبد الحميد انفرد بأمه ، وبمكره ودهائه وحيلته الواسعة ، استطاع أن يحصل منها على بعض النقود ، ومن ثم سافر خلسة الى القاهرة ، وقدم أوراقه الى مكتب التنسيق .

وبلغت الأزمة أشدها ، حين حمل البريد الى عبد الحميد بطاقة ، تفيد قبوله بكلية الزراعة ، اذ أعلن ذلك الى أهله ، وأقسم لهم بالعظيم ثلاثا ، انه سوف يضع حدا لحياته ، اذا هم لم يقدروا أمر ذهابه الى الجامعة ... وكانت مفاجأة مذهلة أخذ لها الجميع وعقولهم ، .. بكت أمه ، وحاشا حاول أبوه أن يثنيه عن قراره ، ودون جدوى توسل اليه أن يرحمه ، وأن يقدر أنه فقير ، ولا طاقة له على تحمل مصاريفه في الجامعة ، وما يتبعها من نفقات الملابس ومعيشته في القاهرة ، فلم يرتد عبد الحميد عن قرمه ، بل ازداد تصميما واصرارا ، وأقسم بالطلاق ، مهددا بأنه سينتحر " .

ظل النزاع العنيف سجالا بين عبد الحميد وأبيه ، والذي تدخلوا من أفراد الأسرة ، ثم سلموا من ضجيج عبد الحميد وثقافته ... وفي النهاية استسلم الأب مضطرا ، وخضع وانقاد لمشيئة ابنه ، وبات من المقرر أن يذهب عبد الحميد الى الجامعة .

ولكن ذلك كان وبالا عظيما انصب فوق رأس أخيه الأصغر ابراهيم ، ذلك المسكين الذي كتب عليه أن يضحي بنفسه ومستقبله فداء لمستقبل عبدالحميد ، والذي قضى عليه أن يعيش في الفقر والظلام ، وأن يحرم العلم وفود الحياة ونورها ... ضاع ابراهيم ضحية للأنانية البشعة وهو مخدوع دون أن يدري " .

فما وافق الأسطى حسين على أن يلتحق عبد الحميد بالجامعة ، الا بعد أن تمكن الاثنان من اقناع ابراهيم ، بأن يعمل بالشهادة الاعدادية ... وبرغما أنه بصعيد زرد ضعيف ، قليل في سهولة ويسر أن يتوظف ! .

ربما فرح الصغير الذى لم ينل من العلم الا قليلا ، لأنه سيستريح من عناء الاستذكار ويصبح موظفا يجلس على المكتب ويتقاضى المرتب فى أول كل شهر .

وكان هذا المرتب هو كل ما تمنى عبد الحميد والأسطى حسين !

وذهب عبد الحميد الى الجامعة بعد ان عني والديه واخوانه ، فانه بعد تخرجه سيكون لهم نعم الابن والأخ ، وانه سوف يرد لهم الجميل ، ويعوض عليهم المال والخير العظيم ... وسيعدهم جميعا

كان عبد الحميد يسرف فى الوعود والآمال ، كلما أرسل يطلب النقود من والده أو والدته .. وكانت الأسرة الفقيرة كلها تعيش فى سبيل أن تدخر ما ترسله لعبد الحميد فى أول كل شهر ... ولم يكن الغاية ، وترضى بمر العيش ، فى سبيل أن تدخر ما ترسله لعبد الحميد فى أول كل شهر ... ولم يكن عبد الحميد ليقنع بالقليل ، او يتحرج من طلب النقود فى منتصف الشهر او آخره ... فهو دائما فى حاجة الى مصاريف للكلية ، وكتب مذكرات ، وملابس وابحار .. وعاملة من الصبح والأسباب .

وظلت الأسرة على ذلك الحال ... الأسطى حسين واحمد يكدحان ويشقيان فى حانوتهما ، وابراهيم يتقاضى راتبه ولا يعلم بحالها كان يظن ، وأم احمد تجمع قرشا من هنا وقرشا من هناك ، وربما اضطرت احيانا ـ وفى السر ـ لأن تعمل كصفاية فى بعض البيوت ، كى تدبر ولو جزءا من النقود التى تطلبها منها ابنها ، والتى ترسلها اليه دون علم أحمد !

حتى فى ايام الأعياد والمناسبات ، التى يفرح فيها كل الناس عن سعة وبحبوحة ، من منافع تكون مرصودة لذلك غالبا ، فتموت بالغيظ والبهجة ، ويتنعمون بنعم الحياة وخيراتها ... فى هذه الأعياد ، كانت أسرة الأسطى حسين لا تجد ما تنفقه ... عبد الحميد يمضى دخلها اولا بأول ، بل وتلجأ الى الدين الذل ، فتعيش الأسرة فى حرمان وعدم ، وهى تتطلع فى حسرة وكمد الى اهل الدار والنعمة أولئك ، وتذوب أملا فى القليل من النعم والهناء ، وتتحرق شوقا الى طيبات الحياة .. تشتهى كسوة جديدة ، او اكلة لذيذة ، او حتى بسمة سعيدة ، تخفف حبات الدموع والحرق ، ... ولكنها لا تجد الى ذلك سبيلا !

كل ذلك من اجل عبد الحميد .. ومن اجله ايضا ، كانت قلوب اهله عامرة بالصبر والرضى ، والأمل والانتظار .

وجاء اليوم المنتظر ، وتخرج عبد الحميد من الجامعة ، فكان يوم عيد .. فى سعادة غامرة ، وفرحة طاغية ، رقصت امه ورقصت ، وصاحبها زوجها مصفقا لها على الواحدة ، وهو يضحك ويميل طربا ، ولما طابت الفرحة ، صار يرقص معها ، بينما راح الأولاد والبنات يدقون لهما الايقاع على الآلات والأوانى النحاسية ، فى سرور وتهليل .

فاضت السعادة والبهجة بأسرة عبد الحميد ، وارتدت اكواب الشربات ، تتخاطفها الأيدى ، وتوزع على المهنئين والمهنئات اللائى جئن يرقصن مع أم عبد الحميد ، ويشاركنها فرحتها ، وكان قلب هذه الأم يضج بالنشوة ، وترقص من الفرحة ، كلما مرت بأم عبد الحميد ، أم الأستاذ ، أم البيك ، أم الباشمهندس ، تمد لها ذلك وتشعرها بالفخر والفخار ، ومثلها كان ابو عبد الحميد ، سيما وان جيرانهما ، سكان الزقاق ، اصبحوا ينظرون اليهما فى كثير من الاجلال والاحترام .

وكانت الفرحة الكبرى يوم تسلم عبد الحميد وظيفته ، فهي وان كانت بالقاهرة ، بعيدا عن اهله الذين نالوا ذلك ، الا انها كانت ايذانا لهم ببدء تحقيق الاحلام وبلوغ الآمال .

فعبد الحميد سوف يبدل حالهم ، من عسر الى يسر ، ويرفع عن وجوههم بصمات الفقر والفاقة ، ويمحو من حياتهم آثار البؤس والشقاء ، ويضيء لهم شموع السعد والهناء ... انهم جميعا على موعد مع السعادة .

اخته الصغرى سعدية تحس انها في ثمن وظيفة ، بعد ان تهتها وهيأها للقرط الذهبي الذي وعدها به ... واخته الكبرى عزيزه ، يداعبها مل لذيذ ، وحلم رائع ، فسوف يتم زواجها الذي كان موجلا حتى يتخرج أخوها ويتوظف ... وأم عبد الحميد ، تنظر في المرآة ما بين يوم ويوم ، لتتخيل نفسها حين يعود اليها الصبا والشباب والجمال ، فتصل هدية ابنها .. ثوب من الحطيفه وغطاء للرأس من الحرير الطبيعي ... ثم ابراهيم ، انه ويعبد ان كبر وادرك ، يحاول ان يظهر الشعور بالحزم ، الذي اضاعه لضياع مستقبله ، فصبا نفسه على اخاه سوف يساعده ويعاونه ، ليستذكر من جديد ، ويحصل على الثانوية العامة ، ويلتحق الى الجامعة ... والانسى حسين ، آماله ، هي ان تتحقق آمال اسرته جميعا ، وان كان يطمح - هو وابنه احمد - في ان يعاونهما عبد الحميد ، كي يتاجرا حلوانا اكبر ، في مكان افضل ، حيث تتسع صناعتهما ، وتنمو تجارتهما وتزدهر وتربح ..

... والذي لا شك فيه ، ان هذه الأسرة كانت تنوي البحث عن مسكن جديد مناسب .

وبين الآمال والاحلام ، عاشت الأسرة في شوق ولهف وحنين ، تنتظر حضور عبد الحميد ، حيث ناتيهم بالنعم والخيرات ، والسعادة والهناء ، وبتحقق لهم الآمال .

ومر شهر واثنان وثلاثة ، وطالت غيبة عبد الحميد ، وسرى القلق في نفوس اهله ، وعشش الهم في قلوبهم ، وكادت احلامهم تتبدد ، وآمالهم تتداعى ، حين وصلهم رسالته المتباعدة ، التي فيها يتحمل الاعذار ... تارة يقول انه يشتري الملابس الجديدة ، التي تليق بمظهره بين زملائه ورؤسائه في العمل .. وتارة يذكر انه مؤدب عرفنه اناقة مناسبة ، ومرة يقول انه الصيف لان يشتري ساعة يعرف بها الوقت ، ومرة يؤكد انه مدين ، وسوف يحضر اليهم بعد ان يسدد ديونه ؟ .

ولكن الأيام والأشهر كانت تمضي وتمر ، دون ان يحضر عبد الحميد ، وان كان لا يفتأ يمني اهله بقرب حضوره ، ويؤكد لهم انه لن يتأخر ، وسيكون عند حسن ظنهم به .

ولكن اهله ظلوا ينتظرونه حتى طال الانتظار ، واستمروا يسمعون وعوده حتى سئموها ، وزهدوا فيها ، وايقنوا انها وعود زائفة كاذبة .

تتراقب أحلامهم ، تتحطم آمالهم ، وتملكهم اليأس ، وتتغلغل الآلام في نفوسهم ، وخيم الحزن على بيتهم المتواضع الحقير ، ولعله سيكون مطبق وصمت كئيب !

وتوسلت الأم الى ابنها ابراهيم ، كي يذهب الى القاهرة ، ليطمئن على اخيه ، ويستطلع احواله ، ولكنه ابى ورفض تماما ... وتجات الى زوجها ، فكان رفضه اشد واشد ..

... انفجر الأب في زوجته ، وراح يصب عليها غضبه ، ويؤنبها ويصفها ويلومها قائلا ، انها هي

سبب عقوق عبد الحميد ، افتداه بدليلها ، وجعله شبه اقانيا بايثارها له .. ان هذا الولد ثروة امـــه ، وها هو قد نسيها ولم يعد يعرفها .. لقد ضاع امامها فيه !

وفي البداية كانت الام تدافع عن ابنها ، ولكنها اخيرا ، نكست وقلبت على امرها ، فبكت وقطعت بـ ـا خيبة امل فيك يا ولدي .

وفجاة ، اشرق الامل ، فبعد قراءة العام ، وصلهم رسالة سحرية من عبد الحميد ، تقول انه سيحضر غدا ... الموعد غدا وليس ابعد من ذلك ...

وكما رقصوا ورقصوا لنجاحه وتوظفه ، رقصوا ورقصوا لعودته ...

شاعت السعادة في البيت ، وامضى الجميع ، وراحوا يعملون في حيوية ونشاط ، يبدون الفرل لاستقبال عبد الحميد ، ويستعيرون ما ليس عندهم من الجيران ، واولئك يبذلون لهم المعونة في اخلاص ، وقد سرهم ان يحضر عبد الحميد .

وفي الغد ، وهي خاطر عبـــد الحميد ، استقله اهله بالحفاوة والاكرام ، والشوق والحنين ، والاحضان والقبـــلات ... وكانت امـــه تزغرد وتبكي ، وهي تضـــمه وتقبـــله ، ولا تكاد تصدق انه بين احضانها ... لقد حقق لها النصر اخيرا ، وان لها ان ترفع راسها على زوجها والآخرين ... لقد استطاعت ان ترى ابنها ، واليوم ستجني ثمار تربيتها .

وبعد قليل من الوقت ، جلست العائلة ، لتتنـــاول مع عبـــد الحميد ، اشهى وافخر وجبـــة من الطعام ، انفقت فيها الام واشقاها الكثير من الجهـــد والوقت والمال ... ومن ثم اختتموا غذاءهم بالفاكهة والحلوى التي احضرها عبد الحميد .

ولم يعـــد الاسطى حسنين ، ولا ابنـــه احمد ، الى الحانوت في ذلك اليوم ، بل تركاه مغلقا ، وظلا يستمتعان بلقاء عبد الحميد .

امضى الجميع امسية سـعيدة هانئة وهم ملتفون حول عبد الحميد ، يتلهون الاشواق والمحبة ، ويحادثونه حـــديثا رقيقـــا ، ويتبادلون معه الاحاديث الطلية الطيبة ، والسمر الحلو الظريف ، وهو من فينة لاخرى ، يطلعهم على اخباره المشرفة ، ويقص عليهم اقاصيص نجاحه وتقدمه في العمل .

وفي تلك الليلة ، نامت افراد الاسرة يحلمون بما يحمله لهم الغد من خير وبشر .

وفي اليوم التالي ، وبينما كان عبد الحميد نائما ، عن لامه ان تبحث في جيوب بدلته ، كانما لتطم مقدار ثرائه ، وتطمئن لقـــدرته على ان يحقق لهم الآمال ... ولدهشتها ، وجدت في جيبه صورة فتاة ! .... وافتره وجهه ، لم تستطع الام ان تبين حقيقة مشاعرها ، ولكنها عادت فاحست بالرضى والسعادة ... انها رجل .. ويحب .. ومحبوبته جميلة وحلوة .. هذا شيء رائع

وعثرت انامله على الاوراق المالية ، الخضراء والحمراء ، وفي مزيج من الفرحة والارتباك ، ارتعشت يداها وهي تحاول ان تعد هذه الاوراق ، ولكنها عجزت عن عدها ، حيث لا عهد لها بمبلغ كبير كهذا ، فاعادت النقود الى مكانها ، وهي لا تزال مأخوذة بجمالها ، مبهورة بسحرها .

وفي اصيل ذلك اليوم ، ارتدى عبد الحميد بدلته بعد ان جاب من عند الكواء ، وصفف شعره ،

وثاق وتعثر ، ومن ثم قال لأمه انه ذاهب لأبيه ، فسرت واستبشرت ، وأدركت بطبيعتها الطيب ، ان ابنها سيتفاهم مع أبيه فيما يجب عليه عمله نحو الأسرة ، بالنقود الكثيرة التي معه ، وتغلب لو ذهب مع أمها ، ولكنها خجلت ، وفضلت ان يصير حتى يأتيها بالخير .

اقبل عبد الحميد على الحانوت ، وألقى التحية على والده ، الذي ترك عمله ، ونهض فاستقبله واقفا ، وقدم اليه مقعدا ليجلس ، وطلب اليه مشروبا من المقهى المجاور ..

وفي خجل وحياء ، تمتم الأسطى حسين :

ـ احمد ليس موجودا ، ذهب يشتري بعض الحاجات للحانوت .

وجلس ثم مسح حذاء الزبون الذي كان امامه ، ولكنه شعر بالحرج والهوان ، وهو يزاول تلك المهنة امام ابنه ، فود لو انشق الأرض وتبلع هذا الزبون ، او لو طيح به من على الكرسي ويخرج فيه .

ـ اقرب من وجهي ، فلن امسح أحذية بعد الآن ، الا تعلم أيها الأحمق !! .. هذا امر ، انه افضل منك .. بالمهندس ديدار كبير .. كبير ..

ونظر عبد الحميد الى ساعته ، لقد اقترب موعده مع حبيبته ، صاحبة الصورة التي يحتفظ بها في جيبه ، وفي قلبه ، والتي احبها واحبته منذ كانت معه في الكلية ، وبعد ان تخرجت وعينت مدرسة باحدى مدارس الزقازيق ، كانت الرسائل هي سفير الحب ورسوله بينهما . والآن هو على موعد معها ، حيث يتفقان على موعد الخطوبة وتقديم الشبكة ..

ولذا ، فما كاد الزبون يخرج من الحانوت ، حتى نهض عبد الحميد ، وجلس امام أبيه وقال :

ـ ارجو ان تمسح لي حذائي ، فان لدي موعدا هاما ! .

... وخر الأب مغشيا عليه ، فسقط رأسه ، ووجهه على حذاء ابنه ! .

محمد صلوت محمد عبده